

المحمدية التوحيدية

شيخ محمد مصطفى السراغني
شيخ الجامع الأزهر



في سبيل الله هاجر سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يثرب . هاجر ليجاهد الشرك بالتوحيد ويعالج الشقات بالوحدة . والتوحيد هو روح الإسلام وجوهره ، وسبيل الرسول وغايته . وليس التوحيد الذي تضمن سر الدين كله مقصوراً على ما تعارفه الناس من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك والند ؛ وإنما يشمل كل ما يكفل للأمة وللإنسانية الألفة والوحدة والتعاون ، من توحيد الله وتوحيد العقيدة وتوحيد الكلمة وتوحيد الغاية وتوحيد الدنيا والدين . وفي سبيل التوحيد في شتى مظاهره كابد الرسول ما كابد من عنت الشرك وسفه الجهالة وإفراط المعصية . دعا إلى توحيد الله ، وقد كانت الآلهة تتمدد بتمدد القوى والقبائل والأمم ، وكان الإنسان أهون على نفسه من الحيوان والشجر والحجر فمبد ما لا يضر ولا ينفع « وحاجه قومه قال : أتأجوني في الله وقد هداني ؟ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ؟ » ثم دعا إلى توحيد الرأي والجهود فأنف بين الأوس والخزرج ، وأخى بين المهاجرين والأنصار ، فأصبحوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ؛ ثم عاهد بين المسلمين واليهود فأنطقت في المدينة بمد

المجرة نار المداوة بين الأهل والأهل وبين الجيرة والجيرة . « إن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس ... وإن اليهود أمة من المؤمنين لهم النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ... وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم »^(١)

ثم دعا الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً إلى توحيد العقيدة بالرجوع إلى مصدرها الصافي وجوهرها الحق : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون »

ثم دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى توحيد الإنسانية بحو للمصيبة القبلية وقتل للنمرة الجنسية وتغيير القياس لدرجات الناس ، فجعل التقديم والتكريم بالتقوى ، وبذلك زالت الفروق الاجتماعية بين الباهل والقرشي ، وبين الفقير والغني ، وبين الأسود والأحر « إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لأدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى »^(٢)

ثم واءم بين الدنيا والدين وقد كانت الشرائع الأخرى تفصل بينهما كل الفصل ، فجعل لليهود الكهانة في اللاويين ثم انصرف سائرهم إلى الصنف والاجترار . ودعا المسيحيون إلى الرهبانية والنسك وترك ما لقيصر لقيصر . ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسم ، فلا تعمل إلا بوحيه ، ولا تسير إلا بهديه ، فكان خليفة الرسول هو ملك الناس ، وكان إمام المسلمين هو قائد الجنود وأنت إذا نظرت في حياة الرسول بالبصرة ، وبحث في أصول الإسلام بالروية ، وجدت مبدأ التوحيد والاتحاد مرمي كل عمل وأساس كل قاعدة . وبفضل التوحيد والوحدة جعل الله العرب للقلال الضعاف أمة للناس وورثة لكسرى وقيصر . فلما انشقت المصا وتمزق المسلمون ونسوا الله وفصلوا بين دينه ودنياهم ، ضعفوا ولانوا واستكثروا وأصبحوا بين الأمم القوية قطعاناً تسام وصلماً تساوم

(١) من الصحيفة التي كتبها الرسول مهدداً بين المهاجرين والأنصار واليهود

(٢) من خطبة الوداع